الفصل الثاني

أين هو كتاب موسى؟ أين هي التوراة؟

لا شك أن الكتاب الذي أتاه الله موسى عليه السلام كان هدى ورحمة وكان إماماً وأساساً لعقيدة بني إسرائيل. وآيات القرآن الكريم أوضحت أن هذا الكتاب يحوي مواعظ وأحكاماً كثيرة.

والتوراة التي أنزلها الله سبحانه ليست سوى أحكام ومواعظ لا تختلف عن مضمون كتاب موسى. لكن التوراة كاسم انسحبت على عدد من الكتب التي اختلفت فيما بينها في مضمونها وشكلها. فهناك: 1 ـ التوراة السامرية. 2 ـ والتوراة العبرانية. 3 ـ والتوراة اليونانية أو السبعينية.

1 ـ التوراة السامرية: لا يؤمن السامريون إلا بأسفار خمسة ويسمونها أسفار موسى وهي سفر التكوين وسفر الخروج وسفر العدد وسفر اللاويين وسفر التثنية.

2 ـ التوراة العبرانية: وفيها تسعة وثلاثون سفراً.

فإضافة لأسفار موسى الخمسة يوجد أسفار أخرى تبلغ أربعة وثلاثين سفراً وهي:

1 ـ سفر يشوع.	2 ـ القضاة.	3 ـ راعوث.	4 ـ صموئيل الأول.
5 ـ صموئيل الثاني.	6 ـ الملوك الأول.	7 ـ الملوك الثاني.	8 ـ أخبار الأيام الأول.
9 ـ أخبار الأيام الثاني.	10 ـ عزرا.	11 ـ نحميا.	12 ـ استير.
13 ـ أيوب.	14 ـ المزامير.	15 ـ الأمثال.	16 ـ الجامعة.
17 ـ نشيد الأنشاد.	18 ـ أشعياء.	19 ـ إرمياء.	20 ـ مراثي إرميا.

21 ـ حزقيال .	22 ـ دانيال .	23 ـ هوشع .	24 ـ يوئيل .
25 ـ عاموس .	26 ـ عوبيديا .	27 ـ يونان .	28 ـ ميخا .
29 ـ ناحوم .	30 ـ حبقوق .	31 ـ صفنيا .	32 ـ حجي .
33 ـ زكريا .	34 ـ ملاخي .		

3 . **التوراة اليونانية**: إضافة للأسفار السابقة فإنهم يزيدون خمسة أسفار أخرى هي طوبيا ويهوديت . والحكمة . ويشوع بن سيراخ وباروخ والمكابيين الأول والثاني .

ويقول السامريون : إن الأسفار العبرانية الأربعة والثلاثين لا نعترف عليها ؛ لأن نص التوراة الحقيقية يقول : إن بني إسرائيل لا يعرفون ولم يعرفوا نبياً بعد موسى مثله ، فكيف إذاً يُطلق على الأسفار الزائدة أسفار الأنبياء؟

على أيّ حال فإن ما يتداوله اليهود اليوم كتاب يطلقون عليه التوراة ، وهذا الكتاب دوّن على يد عزرا أيام السبي البابلي ولا ندري هل ضُم فيه كتاب موسى أم أنه لم يضم؟ على أن البحث عن كتاب موسى عليه السلام بين نسخ التوراة تكتنفه الصعوبة البالغة لأنه حين يُدرس التوراة دراسة معمقة يجد كتاباً يخالف كل تعاليم الوحدانية ويشوه صور الأنبياء جميعاً وتتناقض تواريخه وتعاليمه وأحكامه مع بعضها مما يؤكد أن هذا الكتاب المسمى التوراة ليس هو التوراة التي أنزلها الله سبحانه ولا تضم في ثناياها كتاب موسى عليه السلام .

ومع المقارنة بين ما أشار إليه القرآن الكريم وبين ما جاء في هذه التوراة نجد الاختلافات جذرية وتشير إلى نفسها دون كثير عناء .

يقول تعالى : ﴿ وَكَتَبْنَا لَهُۥ فِى ٱلْأَلْوَاحِ مِن كُلِّ شَىْءٍ مَّوْعِظَةً وَتَفْصِيلًا لِّكُلِّ شَىْءٍ فَخُذْهَا بِقُوَّةٍ وَأْمُرْ قَوْمَكَ يَأْخُذُوا۟ بِأَحْسَنِهَا ﴾ [الأعراف 145] .

ويقول تعالى : ﴿ وَلَمَّا سَكَتَ عَن مُّوسَى ٱلْغَضَبُ أَخَذَ ٱلْأَلْوَاحَ ۖ وَفِى نُسْخَتِهَا هُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلَّذِينَ هُمْ لِرَبِّهِمْ يَرْهَبُونَ ﴿١٥٤﴾ ﴾ [الأعراف 154] .

ومع العودة إلى الآيات التي ورد فيها كتاب موسى نجد أن هذا الكتاب آتاه الله موسى رحمةً وهدى وإماماً وموعظة .

أما عندما نراجع الأسفار الخمسة التي نسبت إلى موسى عليه السلام وهي التكوين والخروج والعدد واللاويين والتثنية فإننا ملزمون أولاً بمعرفة نسبتها إلى النبي موسى من عدمها ومن ثم لابد من مراجعة أسلوبها ولغتها وتاريخ كتابتها والتحقق من كاتبها، ومن ثم مقارنة مضمونها مع مضمون كتاب موسى الذي أشار له القرآن الكريم في عدة مواقع.

من المعروف أن اليهود يضعون قواعد صارمة لنشر دينهم وكتبهم، فالتوراة العبرانية لم يترجمها اليهود ولم يفكروا يوماً بنشرها، وأثبتت الأخبار التاريخية أن الذين ترجموا التوراة من العبرانية هم المسيحيون الذين أتوا بعد عيسى عليه السلام باعتبارهم كانوا من اليهود العبرانيين. وقد ورد في الإصحاح الثالث والعشرين (حينئذ خاطب يسوع الجموع وتلاميذه قائلاً: على كرسي موسى جلس الكتبة والفريسيون فكل ما قالوا لكم أن تحفظوه فاحفظوه وافعلوه، ولكن حسب أعمالهم لا تعملوا لأنهم يقولون ولا يفعلون).

وقد فهم تلاميذ المسيح أن هذا القول يعني حفظ التوراة والإنجيل معاً ونشرهما. ولما كان المسيح عليه السلام ينتسب من ناحية أمه إلى بني إسرائيل العبرانيين فقد أهملوا التوراة السامرية واعتمدوا التوراة العبرانية، وكان لهم الدور الأول في نشر تلك التوراة على الرغم من أن اليهود لم يرغبوا ولم يعملوا على نشر التوراة أو ترجمتها؛ لأنهم يعتقدون أن اليهودية دين خاص بقبائل إسرائيل ولا يجوز أن يطلع على عقيدتهم أي من الغرباء أو أي منتسب لدين آخر. وعندما قام المسيحيون بترجمة التوراة العبرانية إلى اللغة اليونانية وغيرها من اللغات لعبت في الترجمة الأهواء والأذواق، وطبيعي أن ترجمة أي كتاب إلى لغة أخرى غير لغته يفقده كثيراً من الدقة وكثيراً من الدلالات.

ولهذا حينما نقارن بين التوراة العبرانية المترجمة والتوراة السامرية سنجد مئات من الاختلافات اللفظية والتاريخية وكذلك في سمات الشخصيات، خاصة شخصيات الأنبياء.

متى دونت التوراة؟

لقد أصبح من المتفق عليه لدى الدارسين والباحثين في التوراة والكتب القديمة الخاصة باليهود أن تدوين التوراة تم على يد عزرا الكاتب أيام السبي البابلي.

ومنذ وفاة موسى عليه السلام وحتى سبعمائة سنة ظلت التوراة التي أنزلها الله وكذلك كتاب موسى مخفيين أو ضائعين. وتشير الدراسات أن التوراة الحقيقية قد فقدت قبل السبي البابلي

وليس بعده أو بسبب هجوم نبوخذ نصر على القبائل الإسرائيلية ولعل أكثر الاحتمالات لسبب إخفاء التوراة وكتاب موسى هو أن بني إسرائيل أنفسهم هم من أخفوهما. وقد تنبأ موسى عليه السلام بأن بني إسرائيل سوف يزيغون عن طريقه ويحرفون كلام الله.

وفي سفر التثنية ما يشير إلى ذلك. فقد جاء على لسان موسى في هذا السفر ما نصه: (وقال الرب لموسى هو ذا أيامك قد قربت لكي تموت ادع يشوع وقفا في خيمة الاجتماع لكي أوصيه فانطلق موسى ويشوع ووقفا في خيمة الاجتماع وقال الرب لموسى ها أنت ترقد مع آبائك فيقوم هذا الشعب ويفجر وراء آلهة الأجنبيين في الأرض التي هو داخل إليها في ما بينهم ويتركني وينكث عهدي الذي قطعته معه).

ويقول: (فعندما كمّل موسى كتابة كلمات هذه التوراة في كتاب إلى تمامها أمر موسى اللاويين حاملي تابوت عهد الرب قائلاً. خذوا كتاب التوراة هذا وضعوه بجانب تابوت عهد الرب إلهكم ليكون هناك شاهداً عليكم لأني أنا عارف تمردكم ورقابكم الصلبة هو ذا وأنا بعد حي معكم اليوم قد صرتم تقاومون الرب فكم بالحري بعد موتي اجمعوا إليَّ كل شيوخ أسباطكم وعرفاءكم لأنطق في مسامعهم بهذه الكلمات وأُشهد عليهم السماء والأرض لأني عارف أنكم بعد موتي تفسدون وتزيغون عن الطريق الذي أوصيتكم به ويصيبكم (في آخر الأيام) "تثنية 31: 24-29".

وحسب نص التوراة فإن موسى قال لبني إسرائيل إنني أصبحت ابن مئة وعشرين عاماً ثم تحدث لهم عن هذه التوراة وأوصاهم أن يحفظوا ما فيها.

إن النص السابق يشير بوضوح أن موسى قبل أن يموت بأيام كتب لبني إسرائيل هذه التوراة حسب ما جاء في النص. وهذا يعني أن كتاب موسى الذي آتاه الله في سيناء سبق كتابة هذه التوراة بثمانين سنة.

وبعد موت موسى عليه السلام تسلم كتاب التوراة اللاويّون أي أولاد هارون ولم تنشر نسخ منها في بني إسرائيل، لكن التوراة تشير إلى أن يشوع نسخ نسخة خاصة به نقلاً عن نسخة النبي موسى عليه السلام. واحتفظ بها لنفسه، ولم يطلع عليها أحد غيره، ولا أحد يعرف ماذا حدث لنسخة موسى لأن التوراة لا تأتي على ذكرها بعد موت موسى، وفي زمن سليمان عليه السلام لم يرد ذكر أيضاً لهذه التوراة ولا لتوراة يشوع.

وتشير التوراة أنه في عهد الملك يوشيا بن آمون 641 ـ 611 ق . م أي بعد موسى بـ 700 سنة أرسل الملك المشار إليه أحد موظفي قصره واسمه شافان بن أصليا ابن مشلام إلى ما يسمى معبد أورشليم ليحسب مع كاهنه الأعظم حلقيا النقود التي دخلت ما يسمى الهيكل من الزائرين لكي تصرف على تعميره وترميمه فيجد الكاهن كتاب التوراة في بيت الرب ويعطيه لشافان فيقرأه ثم يذهب به إلى الملك وقال (قد دفع إلى حلقيا الكاهن كتاباً وقرأه أمام الملك فلما سمع الملك كلام كتاب التوراة مزق ثيابه).... إلى آخر النص .

وهذا ما يشير إلى أن كتاب التوراة ظل ضائعاً أو مخفياً طوال سبعمائة سنة وعثر عليه بالصدفة . وقد يكون هذا الكلام تلفيقاً من كاتب التوراة أو قد يكون شافان قد اتفق مع الكاهن على كتابة هذا الكتاب لحاجة القوم له . أو قد يكون الكاهن نفسه قد ألف هذا الكتاب لغاية في نفسه .

فبعد سبعمائة سنة من موت موسى ماذا جرى لما كتبه؟ إذا كان كُتب بالفحم فما أسرع أن يمحى وإذا كان قد نقش بالإزميل على حجر فهو بالتأكيد ليس كتاباً إنما وصية صغيرة أراد موسى من ورائها أن يذكر قومه بالاستقامة مع الله ، على أيّ حال فإن قول التوراة بأن هذا الكتاب هو التوراة فيه من التناقض الصارخ ما يكفي لرفضه ؛ إذ كيف يعقل أن يعثر على التوراة بعد انقضاء هذه المئات من السنين وقد جاءت أسفار طويلة قبل هذا الحديث؟ هل أعادوا ترتيب الأسفار ترتيباً جديداً أم أن ما سبق العثور على هذا الكتاب ليس سوى كلام من تأليف من دوّن التوراة في السبي البابلي؟

وخلال هذه المئات من السنين ظل بنو إسرائيل بدون كتاب يسترشدون به . وقد كان الأنبياء والكهنة يقودونهم في عبادتهم ومعاملاتهم دون كتاب . وتورد نصوص التوراة أن ملك الفرس كلف عزرا أثناء السماح لبني إسرائيل بالعودة لاستعمار فلسطين بكتابة التوراة بعد أن أعطاه صلاحيات كبيرة جداً .

وقد جاء ما يشير لذلك في سفر عزرا . حيث يقول :

(وهذه صورة الرسالة التي أعطاها الملك ارتحشتا لعزرا الكاهن الكاتب كاتب كلام وصايا الرب وفرائضه على إسرائيل . عن ارتحشتا ملك الملوك إلى عزرا الكاهن كاتب شريعة إله السماء) "عزرا 7/ 11 ـ 12" .

والمدقق في حياة المسبيين من بني إسرائيل يجدهم قد عاشوا ما بين الـ 50 والـ 70 عاماً دون أن يكون بين أيديهم كتاب موسى أو التوراة أو أي كتاب آخر يستندون عليه في صلواتهم وتعبدهم ومعاملاتهم.

وتورد التوراة أن عزرا عندما عاد إلى القدس راح يقرأ عليهم سفراً يسمى سفر شريعة موسى وقد قرأه على عامة الشعب واستغرقت قراءته سبعة أيام إن هذا يذكرنا بالتوراة التي عثر عليها الكاهن وأعطاها للملك حلقيا حيث قرأت في جلسة واحدة لم تستغرق بضع دقائق بينما تستغرق قراءة سفر شريعة موسى سبعة أيام. وهذا يعني أن الكتابين لا يمتان لبعضهما بأية صلة.

لكن السؤال الذي يطرح نفسه هو: هل كان عزرا يملك كتاب التوراة مسبقاً أم أنه عثر على سفر شريعة موسى مخفياً عند بعض المسبيين أم أنه هو نفسه ألف هذا الكتاب المسمى التوراة؟ ثم كيف استطاع تأليفه وفيه من الأسفار الكثير الكثير؟ ويرى بنو إسرائيل أن عزرا هو الذي أعاد كتابة التوراة التي حوت الأسفار الخمسة، فهل كان سفر شريعة موسى يعني هذه الأسفار الخمسة؟ أم أن هذا السفر منفصل عن تلك الأسفار وله خصائصه ولغته؟

يرى بعض الباحثين والدارسين للعهد القديم أن موسى كتب بنفسه بأمر الرب سفراً يسمى "سفر حروب الرب" يحتوي على قصة الحرب ضد العماليق. وهناك إشارة إلى سفر آخر يسمى سفر العهد قرأه موسى أمام بني إسرائيل عندما عقدوا عهداً مع الرب ويرجح بعض الباحثين أن هذا السفر متضمن في الإصحاح العشرين من سفر الخروج الحالي. وهنالك ذكر لسفر يسمى توراة الرب أو توراة الله ثم شرح موسى الشرائع التي سنها وأخذ من الشعب ميثاقاً جديداً بأن يظلوا خاضعين للشريعة ثم كتب ذلك كله في سفر توراة الله. ثم قطع يشوع عهداً مع بني إسرائيل بعد موت موسى وكتبه فيما يسمى سفر توراة الرب.

ولكن سبينوزا يطرح سؤالاً يقول: أين سفر الله أو توراة الرب؟

ويجيب: "لما لم يكن لدينا أي سفر يحتوي على عهد موسى وفي نفس الوقت على عهد يشوع فيجب أن نعترف ضرورة بأن هذا السفر قد فقد، ونستنتج إذاً أن سفر توراة الله هو الذي كتبه موسى لم يكن من الأسفار الخمسة الحالية بل كان سفراً مختلفاً كلية"[1].

---

(1) سبينوزا، الرسالة ص272 نقلاً عن كتاب محمد عبد الله شرقاوي. مقارنة الأديان.

ويرى سبينوزا بناء على ما جاء في الأسفار الحالية أن سفر توراة موسى (توراة الله) الذي كتبه موسى كان صغيراً جداً. لأن واضع التوراة الحالية ذكر أن موسى أعطاه الأحبار ثم طلب قراءته أمام الشعب في أوقات معلومة. وهذا يدل على أنه كان أقل حجماً بكثير من الأسفار الخمسة، إذ كان من الممكن قراءته كله في مجمع عام بحيث يفهمه الجميع[1].

وما قاله الدارسون حول موثوقية الأسفار الخمسة وكاتبها يذكرنا بما جاء في القرآن الكريم عند الحديث عن كتاب موسى وألواح موسى إذ أن موسى عليه السلام علّم بني إسرائيل أحكام وتشريعات ما أنزل عليه آنذاك في ظرف زمني ومكاني محدد.

لقد قرر العلماء والتاريخيون أن عزرا هو الذي كتب التوراة أو دونها بعد أن جمع القصص وبعض الأحكام التي كان يحفظها كبار السن من بني إسرائيل.

ولكن إذا كان عزرا قد كتب التوراة بأمر من ملك الفرس فهل كان مضمون التوارة العقيدي يخالف العقيدة التي كان عليها ملك الفرس؟ وكيف سمح بذلك دون أن تكون له قيمة كبرى في هذا الكتاب؟ ودون أن يُدخل عزرا اسم هذا الملك في متن النص التوراتي ويمجده؟ الواقع أن النص التوراتي يشير لنا بوضوح إلى ما فعله عزرا، والواقع أن عزرا عندما لبى دعوة كورش الملك الفارسي ومن بعده من خلفه أراد أن يجعله قديساً كبيراً حتى بلغ مقام المسيح المنتظر.

ففي سفر إشعياء يرد النص التالي: (هكذا يقول الرب لمسيحه لكورش الذي أمسكت بيمينه لأدوس أمامه أمماً وأحل أجزمة ملوك لأفتح المصراعين فلا تغلق الأبواب إنني أمشي أمامك وأمهد الهضاب وأحطم مصراعي النحاس) "إشعياء 45: 1 ـ 3".

ومن المعروف أن الفرس لم يكونوا موحدين بل كانوا وثنيين ولكن كاتب التوراة أراد أن يكافئ كورش ومَن بعده على ما فعله لبني إسرائيل في السبي البابلي فرفعه إلى درجة القديسين.

ثم إن التقديس لملوك الفرس يستمر حتى زمن عزرا حيث أنه بعد أن كتب ما يحلو

(1) سبينوزا، الرسالة ص273.

له من التوراة قام بقيادة قافلة كبيرة من المسبيين إلى فلسطين. وهناك ألقى على بني إسرائيل ما دوّنه وسماه سفر الشريعة.

وقد جاء في سفر عزرا ما يشير إلى أن هذا الكاتب دمج بين شريعة بني إسرائيل وشريعة الملك الفارسي.

فقال: (وكل من لا يعمل بشريعة إلهك وشريعة الملك فليقض عليه عاجلاً إما بالموت أو بالنفي أو بالحبس) "عزرا 7: 26".

والواقع أنه "ليس من المعقول أن يقدم عزرا شريعته على شريعة الملك وإلا لعزل فوراً وحكم عليه بالخيانة. وفي ظل هذا المنصب كتب عزرا التوراة وقرأها على بني إسرائيل وقد عكس في التوراة الظروف الاجتماعية والحياة الفكرية للشعب اليهودي والعقائد الوثنية التي كانت حاكمة على المجتمعات المحيطة بهذا الشعب والذي اكتسب الكثير من عاداتها وتقاليدها وعقائدها"[1].

وفي جميع الأحوال فإن عزرا الذي كتب التوراة لا يعرف عنه إلا أنه من نسل هارون حسب ما جاء في التوراة، وكان يعرف الكتابة ويعمل عند ملك الفرس، أما من أين أخذ هذه النصوص والقصص المدونة في التوراة فهناك التباس وغموض كبيران حول ذلك. وكل ما قاله الدارسون لا يعدو كونه افتراضات وتوقعات ليس أكثر.

(1) محمد علي برو العاملي، الكتاب المقدس في الميزان ص 81 ـ 82.

أسلوب الغائب والحاضر

من الأمور الملفتة للنظر في أسلوب كتابة الأسفار الخمسة وما دوّنه عزرا وغيره من أحبار اليهود وبني إسرائيل وجود صيغ وتراكيب وجمل تشير بوضوح إلى أن كاتب هذه الأسفار ومدوّنها شخص آخر غير النبي موسى عليه السلام. ويمكن أن نرى في هذه الأسفار عدة أساليب لغوية مما يدل على أن كل أسلوب يرجع إلى كاتب واحد غير الكاتب الآخر الذي كتب بأسلوب مخالف للأسلوب الأول.

يقول رحمة الله الهندي: "وهذا الأمر لا يظهر من موضوع من مواضيع التوراة بل تشهد عبارته أن كاتبه غير موسى، وهذا الغير جمع هذا الكتاب من الروايات والقصص المشتهرة فيما بين اليهود، ميز بين هذه الأقوال بأن ما كان في زعمه قول الله أو قول موسى أدرجت تحت (قال الله) أو قال موسى وعبر عن موسى في جميع المواضيع بصيغة الغائب. ولو كان التوراة من تصنيفه لكان عبر عن نفسه بصيغة المتكلم ولا أقل من أن يعبر في موضع من المواضع لأن التعبير بصيغة المتكلم يقتضي زيادة الاعتبار، والذي يشهد له الظاهر مقبول ما لم يقم على خلافه دليل قوي، ومن ادعى خلاف ذلك الظاهر فعليه البيان"[1].

وقد جاء في التوراة: (فمات هناك موسى عبد الرب في أرض موآب حسب قول الرب ودفنه في الجواء في أرض موآب مقابل بيت فغور ولم يعرف إنسان قبره إلى هذا اليوم) "التثنية 34: 5 ـ 6".

فهذا النص لا يمكن أن يكون وحياً أوحي به إلى موسى لأن الكلام هنا لمدوّن أسفار موسى، ويتضح ذلك من قوله: فمات موسى، إذ كيف يضمون هذا الكلام إلى سفر التثنية ويزعمون أن أسفار موسى الخمسة تضم سفر التثنية. فهل يعقل أن موسى بعد أن مات يقول عن نفسه أن موسى قد مات ودفن ولم يعرف إنسان قبره؟

ومن أمثلة ما يعبر عن أن كاتب التوراة رجل آخر غير موسى قول التوراة: (وكان الكنعانيون حينئذ في الأرض) "التكوين 12: 5" وهذا يدل على أن كاتب التوراة كتبها بعد التسرب الإسرائيلي إلى أرض كنعان. وقد تكررت العبارة كثيراً ومثلها كثير خاصة

---

(1) رحمة الله الهندي: إظهار الحق ص 62.

عندما يتحدث كاتب التوراة في سفر التكوين عن تنقل إبراهيم، أو عن الملوك، أو عن يعقوب وبقية الشخصيات النبوية الوارد ذكرها في سفر التكوين.

وإذا راقبنا سفر التكوين حتى آخره لا نجد ذكراً لموسى فيه، وكأن الكاتب دوماً يتحدث واصفاً ما جرى ولم ترد إشارة إلى أن هذا السفر كان وحياً أو كلاماً من الله لموسى، وعندما ندخل سفر الخروج نجد صيغة الكلام نفسها تقوم على السرد والوصف فنرى مثلاً: وذهب رجل من بيت لاوي وأخذ بنت لاوي فحبلت المرأة وولدت ابناً. فهل كان هذا الكلام هو حديث موسى أم هو كلام الرب؟

وتقول: وحدث في تلك الأيام لما كبر موسى.. فقوله وحدث في تلك الأيام يدل على أن الكاتب يتحدث عن زمن غابر بعيد عن زمنه وليس لموسى علاقة بذلك.

ثم نرى: فنهض موسى وأنجدهن وسقى غنمهن. فهل يتحدث موسى عن نفسه بهذا الأسلوب فالمفترض أن يقول فنهضت وأنجدت وسقيت.

وقوله: فارتضى موسى أن يسكن مع الرجل. فأعطى موسى صفورة ابنته.

وقوله: وأما موسى فكان يرعى غنم يثرون حميه كاهن مديان.

وفي جميع الأسفار وخاصة سفر الخروج نرى كاتب التوراة يتحدث بأسلوب الغائب حيث يكتب. فقال موسى. فقال الله أو قال الرب.

وهذا يدل على أن كاتب التوراة يتحدث عن زمن مضى بعيد عنه فهو يتحدث على سبيل السرد القصصي التاريخي، ولو كانت هذه الأسفار وحياً أو كلاماً صادراً عن الله لتغير الأسلوب من الحديث باسم الغائب إلى الحديث باسم الحاضر أو المتكلم.

إن مادة هذه الكتب واسعة جداً وقد نشأت وصيغت على امتداد قرون كثيرة، ولذلك فهي بعيدة كل البعد عن كتاب موسى ووحي الله سبحانه وتعالى. إذ لو كانت وحياً لتحدث موسى عليه السلام أنه تلقاها مباشرة من الله ودوّنت وظلت على حالها، ولكنها لم تدوّن ولم تبق على حالها بل هي مخالفة كلية لما نزل على موسى من كتاب.

يقول رحمة الله الهندي: "لا يقدر أحد أن يدعي بالنسبة إلى بعض الفقرات وبعض الأبواب أنها من كلام موسى، بل بعض الفقرات تدل دلالة بينة أن مؤلف هذا الكتاب لا

يمكن أن يكون قبل داود عليه السلام. بل يكون إما معاصراً له أو بعده. وعلماء المسيحية يقولون بالظن ورجماً بالغيب إنها من ملحقات نبي من الأنبياء. وهذا القول مردود لأنه مجرد ادعائهم بلا برهان؛ لأنه ما كتب نبي من الأنبياء في كتابه أني ألحقت الفقرة الفلانية في الباب الفلاني من الكتاب الفلاني، ولم يثبت ذلك بدليل قطعي"[1].

ويدعي بعض علماء اليهود أن عزرا كتب التوراة بالإلهام؛ بمعنى أن الله ألهمه التوراة وهذا يعني أن كتاب موسى وتوراته بعد أن انعدما كتبه عزرا بالإلهام مرة أخرى والواقع أن عزرا لم يعد إلى كتاب موسى ولو شفاهية عندما دون توراته، ولو كان ما كتبه عزرا إلهاماً لما وجدنا اختلافاً واضحاً بين نسخ التوراة السامرية والعبرانية واليونانية.

يقول السامريون: "إن عزرا هو الذي كتب هذه التوراة وأنه حرف كلام الله وغيّر وبدّل عمداً، بمحض إرادته ولم تكن التوراة ضائعة فكتبها بل استبدل الحق بالباطل".

ويقول أبو الفتح بن أبي الحسن السامري في تاريخه: "إن الفرس لما سمحوا لليهود بالعودة إلى ديارهم طلبوا منهم أن يتّحدوا تحت رئاسة واحدة وتكون لهم عاصمة واحدة ليسهل التعامل معهم فأصر بنو مملكة إسرائيل (السامرة) أن تكون الرئاسة فيهم وأن يكون هيكلهم في نابلس وهو القبلة وأصر بنو يهوذا (القدس) أن تكون الرئاسة فيهم وأن يكون هيكلهم في القدس، واشتد العداء بينهم من أجل ذلك فغيّر فريق القدس نصوص التوراة التي عنده لصالحه وخلفوا الخط العبري. ويتابع قوله: إن تحريف التوراة قد تم على يد اليهود العبرانيين بعدما منع السامريون العبرانيين من بنائهم الهيكل بواسطة ملك فارس بعد الرجوع من سبي بابل مباشرة وباعتراف السامري فإن عزرا وزربابل هما اللذان ابتدعا التوراة الجديدة، عزرا لأنه من نسل الكهنة أبناء هارون وكذلك زربابل لأنه من نسل داود من سبط يهودا من النسل الملكي الحاكم"[2].

---

(1) رحمة الله الهندي، إظهار الحق ص62.

(2) أحمد حجازي السقا، نقد التوراة، أسفار موسى الخمسة ص 75 ـ 76.

رأي علماء اليهود بنسب التوراة

لم يقتصر الشك في نسب التوراة على العلماء العرب والمسلمين إنما كان لعلماء اليهود وبعض أحبارهم آراء غاية في الأهمية، فهم من عرف لغة التوراة وخفاياها وتفسيراتها وقد بلغ بعضهم أعلى مراتب العلم اللاهوتي اليهودي، ولم تكن آراؤهم نتيجة هوى أو تعصب أو بسبب ضغوط سياسية أو دينية. ولعل ما يدلل على قوة حججهم مناقشتهم لنصوص التوراة مناقشة عميقة تعالج المعنى واللفظ والتاريخ وجميع الحيثيات الأخرى.

وقد عرف من هؤلاء السموأل بن يحيى المغربي المتوفى سنة 570 هـ أي في القرن الحادي عشر ميلادي، ومنهم الحبر الأكبر صموئيل الأورشليمي الذي كتب ما يُسمى الرسالة السبيعية، ومنهم المؤرخ اليهودي السامري أبو الحسن الصوري، وهناك من العلماء المحدثين من سلك نفس الطريق كالفيلسوف سبينوزا.

❖ **السموأل:**

وهو أشهر القدامى فهو ابن أحد الأحبار تتلمذ على يديه وعرف الكثير من أسرار التوراة والعقيدة اليهودية، ثم هاجر من المغرب باتجاه الشرق حتى استقر في فرغانه واهتدى للإسلام وألف كتابه المشهور "غاية المقصود في إفحام اليهود" وعلى الرغم من صغر كتابه إلا أنه يقسمه إلى فصول، كل فصل يحمل عنواناً يدل على فحواه وهو الرد على التوراتيين وإظهار تحريفهم للتوراة.

وقد كان للسموأل رأي في نسب هذه التوراة فيرى أنها كتاب عزرا وليس كتاب موسى عليه السلام. ويؤكد أن كافة علماء اليهود وأحبارهم لا يقرون بنسب هذا التوراة إلى موسى أو أنها نزّلت عليه.

ويُرجع السموأل حجته بأن هذه التوراة ليست كتاب موسى إلى سببين رئيسين:

السبب الأول: طبيعة تدوين هذه التوراة وما حوته من أساليب كتابية متنوعة.

والسبب الثاني: الظروف الخارجية والداخلية التي مر بها بنو إسرائيل عبر مئات السنين منذ انقضاء عهد موسى عليه السلام وحتى أواخر أيام السبي البابلي.

ويرى السموأل أن موسى عليه السلام صان التوراة وأخفاها عن بني إسرائيل ولم ينشرها بينهم وإنما سلمها إلى بني عشيرته من اللاويين، ويورد السموأل دليلاً من التوراة حيث يرد فيها قولها: (وكتب موسى هذه التوراة ثم دفعها إلى الأئمة أولاد ليوي) وكان بنو هارون قضاة اليهود وحكامهم لأن الإمامة وخدمة القرابين وبيت المقدس كانت موقوفة عليهم.

ويقودنا - أي السموأل - إلى ما قلناه سابقاً بأن موسى لم يكن على ثقة ببني إسرائيل وقد أوردنا نصاً من التوراة يقول فيه موسى: إنهم وهو حي ارتدوا عن دينه فكيف يكون حالهم بعد موته؟

ويرى السموأل أن موسى عليه السلام لم يبذل من التوراة لبني إسرائيل إلا نصف سورة يقال لها (ها أزينو) فإن هذه السورة من التوراة هي التي علمها موسى بني إسرائيل (وكتب موسى هذه السورة وعلمها بني إسرائيل). وأيضاً فإن الله قال لموسى: (وتكون لي هذه السورة شاهداً على بني إسرائيل). وأيضاً فإن الله قال لموسى عن هذه السورة لأن هذه السورة لا تنسى من أفواه أولادهم.

والواقع أن السموأل يلفت انتباهنا إلى عدة مسائل:

1 ـ فمن المعروف أن هارون مات قبل موسى عليهم السلام. ومعنى ذلك أن موسى سلم نسخة من كتابه أو من التوراة إلى أبناء أخيه هارون واعتبر أنها تخصهم ولا تخص غيرهم من بني إسرائيل.

2 ـ بعد موت موسى وحسب نص التوراة عهد إلى اللاويين بحفظ تابوت العهد وما فيه مما ترك موسى وهارون، فهل بقي هؤلاء على عهدهم في حفظهم لهذا التابوت ألم يخفه بعضهم، ألم يُسرق ويبدل ما فيه؟ وإلا ما معنى أنه ظل ضائعاً مئات السنين حتى اكتشف يوماً على عهد أحد ملوكهم؟ هذا إذا صحت رواية الاكتشاف.

3 ـ تعرض بنو إسرائيل عبر تاريخهم القديم إلى سلسلة متلاحقة من التشريد بسبب سوء عقليتهم وسوء نواياهم وجرائمهم وقد وصلت الشدائد عليهم حداً أُسروا فيه وسلبوا وأحرقت كل كتبهم وما لهم من أملاك.

وإذا عدنا إلى السموأل بن يحيى المغربي نراه يورد أموراً كثيرة وفي عدة مواقع من كتابه تشير بوضوح إلى تبديل التوراة وإلى أسباب هذا التبديل.

يقول: "علماؤهم وأحبارهم يعلمون أن هذه التوراة التي بأيديهم، لا يعتقد أحد

من علمائهم وأحبارهم أنها المنزلة على موسى البتة لأن موسى صان التوراة عن بني إسرائيل ولم يبثها فيهم وإنما سلمها إلى عشيرته أولاد لاوي ودليل ذلك قول التوراة: "(ويحتوب موشى إث هتورا هزوث وتيناه الهكوهنيم بني ليوى) وتفسيره وكتب موسى هذه التوراة ودفعها إلى الأئمة بني ليوى، وكان بنو هارون قضاة اليهود وحكامهم لأن الإمامة وخدمة القرابين وبيت المقدس كانت موقوفة عليهم. ولم يبذل موسى من التوراة لبني إسرائيل إلا نصف سورة يقال لها ها أزينو، فإن هذه السورة من التوراة هي التي علمها موسى بني إسرائيل ذلك قوله (ويحتوب موشا إث هشيرا هروث وتلمذاه لبني إسرائيل) وتفسيره وكتب موسى هذه السورة وعلمها بني إسرائيل".

وأيضاً فإن الله قال لموسى عن هذه السورة شاهداً على بني إسرائيل، وأيضاً فإن الله قال لموسى عن هذه السورة (كي لوتشاخاح بغي ررعو) وتفسيره لأن هذه السورة لا تنسى من أفواه أولادهم، ويعني أن هذه السورة مشتملة على ذم طباعهم وأنهم سيخالفون شرائع التوراة وأن السخط يأتيهم بعد ذلك وتُخرب ديارهم ويشتتون في البلاد. قل: فهذه السورة تكون متداولة في أفواههم كالشاهد عليهم الموافق لهم على صحة ما قيل لهم.

فهذه السورة لما قال الله عنها إنها لا تُنسى من أفواه أولادهم دل ذلك على أن الله علم أن غيرها من السور تنسى. وأيضاً فإن هذا دليل على أن موسى لم يعط بني إسرائيل من التوراة إلا هذه السورة فأما بقية التوراة فدفعها إلى أولاد هارون وجعلها فيهم وصانها عن سواهم. وهؤلاء الأئمة الهارونيون الذين كانوا يعرفون التوراة ويحفظون أكثرها قتلها بخت نصر على دم واحد يوم فتح بيت المقدس.

ولم يكن حفظ التوراة فرضاً ولا سنة بل كان كل واحد من الهارونيين يحفظ فصلاً من التوراة فلما رأى عزرا أن القوم قد أُحرق هيكلهم وزالت دولتهم وتفرق جمعهم ورفع كتابهم جمع من محفوظاته ومن الفصول التي تحفظها الكهنة ما لفق منه هذه التوراة التي بأيديهم، ولذلك بالغوا في تعظيم عزرا هذا غاية المبالغة وزعموا أن النور إلى الآن يظهر على قبره الذي عند بطائح العراق لأنه عمل لهم كتاباً يحفظ دينهم. فهذه التوراة التي بأيديهم على الحقيقة كتاب عزرا وليس كتاب الله. وهذا يدل على أنه ـ أعني الذي جمع هذه الفصول التي بأيديهم ـ رجل فارغ جاهل بالصفات الإلهية. فلذلك نسب إلى الله تعالى صفات التجسيم والندامة على ماضي أفعاله، والإقلاع عن مثلها وغير ذلك. ومما

يستدل به على بطلان تأويلاتهم وإفراطهم في التعصب وتشديد الإصر ما ذكروه في تفسير هذه الآية: (ريشيت بكوري إذ مانحا تأبي بيث آدوناي الوهيما لوتسل كدي باحليب أمّو) وتفسيره بكور ثمار أرضك تحمل إلى بيت الله ربك لا تنضج الجدي بلبن أمه. والمراد من ذلك أنهم أمروا عقب افتراض الحج عليهم أن يستصحبوا إذا حجوا إلى القدس أبكار أغنامهم وأبكار مستغلات أرضهم، لأنه كان فرضاً عليهم قبل ذلك أن يبقى سخولة البقر والغنم وراء أمهاتها سبعة أيام، ومن اليوم الثامن فصاعداً يصلح أن يكون قرباناً لله.

فتوهم المشايخ البلهُ المترجمون لهذه الآية والمفسرون لمعانيها أن المشرع يريد الإيضاح هذا إيضاح الطبيخ في القدر، وهبهم صادقين في هذا التفسير فلا يلزم من تحريم الطبخ تحريم الأكل إذ لو أراد المشرع الأكل لما منعه مانع من التصريح بذلك، وما كفاهم هذا الغلط في تفسير هذه اللفظة حتى حرموا أكل سائر اللحم باللبن وهذا مضاف إلى ما يستدل به على جهل المفسرين والنقلة وكذبهم على الله وتشديد الإصر على طائفتهم.

ويورد السموأل سبباً آخر لكتابة توراة جديدة من قبل عزرا فيقول: "فإن عندهم أن موسى جعل الإمامة في الهارونيين فلما ولي طالوت (شاؤل) وثقلت وطأته على الهارونيين وقتل منهم مقتلة عظيمة، ثم انتقل الأمر إلى داود، بقي في نفوس الهارونيين التشوق إلى الأمر الذي زال عنهم، وكان عزرا هذا خادماً لملك الفرس خطياً لديه. عمل لهم هذه التوراة التي بأيديهم، فلما كان هارونياً كره أن يتولى عليهم في الدولة الثانية داودي فأضاف في التوراة فصلين طاعنين في نسب داود أحدهما قصة بنات لوط، والآخر قصة ثمار. ولقد بلغ لعمري عرضه فإن الدولة الثانية التي كانت لهم في بيت المقدس لم يملك عليهم فيها داوديون بل كانت ملوكهم هارونيين. وعزرا عندهم ليس بنبي وإنما يسمونه عزرا هسوفير؛ وتفسيره الناسخ".

إذاً فالأسباب التي يوردها السموأل منها ما هو سبب شخصي أملته الظروف الشخصية لكاتب التوراة كي يدون على هواه، ومنها أسباب أخرى تعود إلى الظروف العامة التي عاشها بنو إسرائيل ومنها الحرب المستمرة عليهم بسبب عنصرهم الفاسد في التاريخ، ومنها ما نصت عليه التوراة من أن موسى لم يسمح لبني إسرائيل الاطلاع على كتابه.

❖ أبو الفتح بن أبي الحسن السامري:

وأبو الفتح يهودي سامري مؤرخ. كتب كتاباً تحت عنوان - التاريخ مما تقدم عن الآباء

وقد طبع كتابه في ألمانيا سنة 1865 وله أصل ألماني ومقدمة باللاتينية وبعض الملاحظات باللغة العبرية وقد ترجم إلى العربية، ويقول أبو الحسن السامري أنه كتبه في نابلس سنة 756 هـ.

يورد أبو الحسن السامري رأي السامريين بعزرا وبتوراته وكيف حرّف التوراة الأولى ثم كيف أن الفرس عندما سمحوا لليهود بالذهاب إلى فلسطين طلبوا منهم أن يتحدوا تحت رئاسة واحدة وتكون لهم عاصمة واحدة ليسهل التعامل معهم فأصر بنو مملكة إسرائيل (السامرة) أن تكون الرئاسة فيهم وأن يكون معبدهم في نابلس هو القبلة، وأصر بنو مملكة يهودا (أورشليم) أن تكون الرئاسة فيهم وأن يكون معبدهم في القدس هو القبلة. واشتد العداء بينهم من أجل ذلك فغيّر فريق أورشليم نصوص التوراة التي عنده لصالحه وخلفوا الخط العبراني.

ويقول أبو الحسن السامري في تاريخه:

اجتمع أولاد يهوذا الذين كانوا على نهر كوش جميعهم إلى حران وكذلك بني جايل وبنو حنانيا وبنو بنيامين وبنو زكرى وبنو طوبية وبنو شمعون وجاؤوا من بابل بشعب عظيم وهم بنو مردى ثم كتبوا إلى قوم آخرين فجاء الجميع إلى حران وجاء معهم كتب من زربابل بين سلسال مقدم يهوذا إلى عبدال الإمام وإلى غزي ابن شمعون رئيس بيت يوسف: يقول فيها: الواجب أن تفعلوا أنتم وجماعتكم ما نقوله لكم، وهو أن نذهب إلى إيلياء ونكون كلنا شعباً واحداً، فكتب عبدال وجماعته إلى زربابل وجماعته يقولون لهم: الواجب أن تأتوا أنتم وذراريكم بإخلاص ونية وطهارة سريرة وصحة عقيدة ونصعد إلى الأرض التي منّ الله بها علينا، وعلى آبائنا من قبلنا ونجيء إلى جبل البركة ومحل السكينة الذي قد فرض الله علينا وعلى آبائنا تأدية وظائف عبادته عليه، وأن تحمل قرابيننا إليه ونبني فيه مذبحاً ونفعل كما أمر الله في شريعته.

ويتحدث أبو الحسن السامري عن حوار جرى بين الطرفين، أي السامريين والعبرانيين بشأن القبلة على أن تكون في نابلس ثم يذكر أن الملك في ذلك الزمان اقتنع بوجهة نظر السامريين، فمنع العبرانيين من بناء هيكل في القدس.

يقول أبو الحسن السامري: "وعرف الملك صحة قولهم ومنع البناء في بيت المقدس وهدم ما كان اليهود قد عمروا فيه. وعظمت العداوة بين السامريين وبين اليهود وتزايدت البغضة بينهم.

ومن عظم ما جرى على قلب اليهود كذلك قام عـزرا وزربـابل ووضعـوا لهـم خطاً غير الخط العبراني وجعلوا الحروف سبعة وعشرين حرفاً وتطرقـوا إلـى الشـريعة المقدسـة ونقلوها بالخط الـذي ابتدعـوه وحذفـوا كثيراً مـن سـور الشـريعة المقدسـة بسـبب السـورة الرابعة من العشر كلمات وذكر هرجرزيم وحدوده فيها وزادوا وأنقصوا وبدلوا وحرفوا.

ويتابع قوله: إن تحريف التوراة قد تم على يد اليهود العبرانيين بعدما منـع السـامريون العبرانيين من بنائهم لهيكل سـليمان في أورشـليم بواسـطة ملـك فـارس بعـد الرجـوع مـن سبي بابل مباشرة"[1].

❖ رأي الحبر الأعظم إسرائيل بن شموئيل الأورشليمي:

نرى أن أعمدة وأركان هذه الشريعة الموسوية التي كانت مسندة عليهـا وفيهـا قوامهـا واستيلاؤها قد انهدمت بالكلية وانعدمت مثل إبادة الملك والرياسة وعـدم وجـود الأنبيـاء وإبطـال الكهنـوت وخـراب الهيكـل السـليماني وهـدم المذبـح واندثـار الذبـائح ومحـق الأسباط وما يتعلق بهم لأن هذه الأعمدة والأركان كان قد ربـط بهـا الله سبحانه وتعـالى جميع ما يلزم من القضايا الدينية المشروعة في التوراة، حتى والأحكام المدنية فإذا انعدمت هذه اللوازم الركنية وبطلت كما هو مشاهد الآن نستدل من انعدامهـا علـى بطـلان الديانـة جميعها بحيث تعلق الديانة بها، ويرى هذا الحبر أن الله سبحانه لم يتكفـل بحفـظ التـوراة كما تكفل بحفظ القرآن فقال: ويظهر من ذلك أن الله سبحانه وتعالى قـد استخدمها إلـى أزمنة معلومة محدودة غير راض بخلودها لا بل إنه راض بانقضائها وتبديلها.

لأنه لو كـان قصـد الله خلـود هـذه الشـريعة الموسـوية وحفظهـا ودوامهـا لما كـان هـو ذاتـه سبحانه ربطها في كذا قضايا تنظر إبادتها وإعدامها عياناً ظـاهراً في كـل حـين وآن، عنـد العـالم والغبي والعاقل والجاهل والشـيخ والشـاب وجميعهـم بالسـواء قـد ينظـرون بأنهـا قـد أعدمـت وبطلت ومضى على بطلانها مئات كثيرة من السنين، وكـل عـاقل يرغـب ثـواب الآخـرة قـد يستدل على الانتقال منها إلى شريعة نبينا محمد المصطفى ﷺ هو أمر ضروري ولازم.

ويرى هذا الحبر أن الذي ألجأ الأحبار والحاخامـات اليهـود إلـى صنـع تشـريع جديـد يختلف عن تشريعات التوراة كون ترك اليهود لليهودية والعـزوف عنهـا إلـى ديانـة أخـرى

---

(1) السموأل بن يحيى المغربي. غاية المقصود في الرد على اليهود صفحة 45 ـ وصفحة 72.

فيقول: وإذ رأى الأحبار والحاخاميم الكثير من جماعتهم اليهود الموجودين في تلك العصور تابعين لدين هذين الرجلين النبيين العظيمين (محمد وعيسى) عليهما الصلاة والسلام وما بقي عندهم إلا قليل من الناس كما هو مشاهد، فقد شرعوا في عمل تحريفات وتأويلات وتفسيرات مخالفة لمضامين الشهادة الواردة في التوراة بحقها.

واخترعوا آراء مستحدثة قد رأوا أن يبقوا الباقين في دينهم إلى الآن. ومع ذلك لما كنت أتردد عندكم (اليهود) كنت أرى أن بعضاً منكم مذبذبون، ومنقسمة آراؤهم في الكثير مما ذكرته، وهم من الأناس العقلاء، وبعض منهم عارفون الحق لكنهم مربوطون في وظائفهم الدينية والأموال والأولاد والعيال وبعضهم مغفلون غير مبالين من دخولهم تحت هذه اللعنات المذكورة التي يلتزم بالدخول تحت نيرها جمهورهم بلا محالة بحيث غير ممكنهم عمل الوصايا المربوطة على من لم يعملها هذه اللعنات.

ثم ومن أقوى هذه الآراء المستحدثة قد اخترعوا لهم رأياً أبتر ليس له عندهم سند في التوراة مطلقاً لا من موسى عليه السلام ولا من الأنبياء وهو التقميص (التقمص) أعني أن الإنسان اليهودي عندما يموت وهو غير مكمل الوصايا المشروحة ومديون إلى الكثير منها ووقع تحت هذه اللعنات فيلزمه الرجوع إلى الدنيا ثاني مرة أو ثالث مرة أو إلى أكثر من ذلك إلى أن يكمل كل الوصايا ويتخلص من جرثومة هذه اللعنات رويداً رويداً، ثم لما فحصت ودققت وتوصلت إلى معرفة هذه القواعد الدينية ورأيتها أنها حديثة وليس لها سند في التوراة كما تكلمت سابقاً فقلت لنفسي، ويه ويه! ما الذي يحملك على قعودك في هذه الشريعة غير الممكن إتقانها والعمل بها، لا بل وممتنع أيضاً وأنك مع جماعة اليهود أبناء جنسك واقعون تحت قصاصاتها المحررة في التوراة.

ويخلص هذا الحبر اليهودي الذي أسلم إلى نتيجة مهمة مفادها: أن الله الذي أنزل أحكام التوراة قادر على هدمها، وهذه إشارة إلى نسخ التوراة بنزول القرآن الكريم. فيقول: من هنا أدركت أن الذي بناها بحكمته هو الذي هدمها بحكمته، واحد لا يسأل عما يفعل وهم يسألون إذ أن مقاصد الحكمتين بعيدة عن معرفة عقولنا[1].

---

(1) إسرائيل بن شموئيل الأورشليمي. الرسالة السبيعية في إبطال الديانة اليهودية، ملحق على كتاب غاية المقصود في الرد على اليهود للسموأل بن يحيى المغربي.

آراء بعض العلماء اليهود الحديثين

تعرفنا في الصفحات السابقة على ثلاثة آراء لأحبار يهود ومؤرخين خبروا التوراة ودرسوها وتعرفوا عن كثب على تحريفها وإخفاء كتاب موسى عليه السلام. ونستكمل هذه الآراء والتحليلات من خلال العلماء اللاحقين الذين هم يهود في الأصل لكنهم أدركوا أن هذه التوراة المعاصرة بعيدة كل البعد عما جاء به النبي موسى فهي مؤلفة من قبل كتاب جرى التحقق منهم ومن أساليبهم الكتابية وغاياتهم الدينية والسياسية.

❖ **رأي الباحث م. ريجسكي:**

الذي ترجم آراءه الدكتور آحو يوسف من الروسية إلى العربية يقول: إن محرري التوراة المتأخرين الذين جمعوا قائمة الكتابات المقدسة بذلوا جهدهم لكي يختاروا من مجمل الأدبيات النبوية فقط تلك النبوءات التي كان مضمونها وأفكارها تنسجم على أكمل وجه مع المشروع الديني الذي كان قد تكرس عندئذ، ثم اعتبرت تلك المؤلفات وحدها نبوءات حقيقية وكتابات مقدسة أما البقية فقد طواها النسيان والمحررون والنساخ المتأخرين كانوا يحشرون في مؤلفات نبي قديم ما ـ بلا استحياء يذكر ـ مقاطع يرونها مناسبة من تأليف مؤلف آخر عاش بعد ذلك النبي بزمن طويل.

ويتساءل ريجسكي عن مصير الكتاب الذي عثر عليه حلقيا الكاهن زمن الملك يوشيا عام 622 ق. م فيقول: ما الذي جرى لهذا الكتاب فيما بعد؟ من المستبعد تماماً أن يكون الكاهن الأول حلقيا (بعد أن تم استخدام سفر الشريعة الذي عثر عليه استخداماً بالغ النجاح) قد سمح لهذا السفر أن يبقى في نسخة واحدة مجهولة يغطيها الغبار على رف المكتبة داخل المعبد ويقول: في أي مكان من العهد القديم يحتمل أكثر أن نعثر على سفر الشريعة؟ واضح أنه في ذلك الجزء الذي حصل فيما بعد على تسمية تورا ـ القانون. فقد قيل عن الكتاب الذي عثر عليه حلقيا أنه أعطي بيد موسى، وهذا يعني أنه كان يمكن أن يصبح أحد الكتب الخمسة (الأسفار الخمسة) أو جزءاً من أحد تلك الكتب. إنه يعبر بشكل واضح خصوصاً عن الأفكار التي تم تجسيدها في إصلاحات يوشيا الملك. إنه كتاب التثنية حيث يتم التعبير بإلحاح عن المطالبة باعتبار يهوه إلهاً وحيداً لإسرائيل وباجتثاث عبادة كل الآلهة الأخرى.

إن كلام هذا الباحث يعني أن سفر التثنية ليس كله لموسى إنما أدخل الكاهن حلقيا بعد توجيهاته التي أراد من ورائها أن يقوم الملك يوشيا بدور مهم بإعادة الاعتبار لعبادة يهوه وإبعاد الآلهات الصنمية التي عبدها بنو إسرائيل، ونسبها إلى موسى كي يقدسها القوم ولا يرفضونها. فلو أن حلقيا أعلن أنه مؤلفها فإنهم يرفضونها أما إذا ادعى أنها لموسى فإنهم ينصاعون لها.

وقد رفض اللاهوتي اليهودي ابن عزرا وهو من القرن الثاني عشر وكذلك الفيلسوف اليهودي سبينوزا من القرن السابع عشر وكذلك فولتير رفضوا جميعاً وبحزم فكرة أن يكون مؤلف الكتاب الذي عثر عليه حلقيا هو موسى.

وقد برهن العالم الألماني دي فيتيه من بداية القرن التاسع عشر بالدليل القاطع أن كتاب التثنية ما كان بوسعه أن يظهر في زمن موسى؛ أي في القرن الخامس عشر ق.م فالقوانين والأحكام المدونة في الكتاب تعني شعباً يعيش حياة حضرية مرتبة ويشتغل بالزراعة كما يملك مدناً كبيرة ونظاماً سياسياً جيد التطور، وكل هذه الأشياء لم تكن موجودة زمن موسى إذ كان في الصحراء وجماعته جماعة منقطعة عن كل شكل زراعي أو حضري.

ويفهم من ذلك أن ما كتب في سفر التثنية لا يتناسب مطلقاً مع واقع الحياة البدوية الخشنة التي كان يعيشها بنو إسرائيل في سيناء، وهذا ينسف مقولة نسب سفر التثنية لموسى عليه السلام.

وبالنسبة لكتاب (سفر الشريعة) الذي عثر عليه حلقيا وادعى الملك يوشيا أنه كتاب موسى، فيقول العالم الألماني دي فيتيه: فيما يخص حكاية اللقية "فإننا لا نستطيع معرفة وزمن وكيفية مجيء هذا الكتاب إلى معبد أورشليم وليست مستبعدة إمكانية أن يكون الكاهن حلقيا هو الذي جاء به. إنّ طريقة ظهور الكتاب شبيهة جداً بإجراء مدبر شارك فيه عدا حلقيا وشافان النبية خلدة"[1].

ويقول ريجسكي: "إن أكثر دارسي التوراة حتى اللاهوتيين منهم مضطرون للاعتراف بأن كتاب التثنية أو الأدق ذلك الجزء من كتاب التثنية الذي عثر عليه حلقيا في تلك السنوات أيام حكم يوشيا تم اختلاقه والادعاء بأنه مخطوطة قديمة"[2].

---

(1) ريجسكي: ترجمة آحو يوسف. أنبياء التوراة والنبوءات التوراتية ص 144.

(2) ريجسكي: ترجمة آحو يوسف. أنبياء التوراة والنبوءات التوراتية ص145.

ثم يتساءل ريجسكي قائلاً: لماذا وكيف كان النسيان والضياع في معبد أورشليم هما مصير الكتاب الذي كتب بيد موسى؟؟

يرى ريجسكي أن المقطع الذي ورد في سفر التثنية الإصحاح 31: 24 ـ 27 هو من تأليف حلقيا كي يبرر عدم ضياع كتاب موسى أو كي يبرر مشروعية وجوده، والمقطع يقول: (فعندما كمّل موسى كتابة كلمات هذه التوراة في كتاب إلى تمامها أمر موسى اللاويين حاملي تابوت عهد يهوه قائلاً خذوا كتاب التوراة هذا وضعوه بجانب تابوت عهد يهوه إلهكم ليكون هناك شاهداً عليكم لأني أنا عارف تمردكم ورقابكم الصلبة هوذا وأنا بعد حي معكم اليوم قد صرتم تقاومون يهوه فكم بالحري بعد موتي). ويعلق ريجسكي قائلاً: إن سخافة هذا التفسير واضحة تماماً للقارئ المعاصر، لماذا كان يجب إخفاء الكتاب ـ الشهادة بطريقة جعلت من غير الممكن العثور عليه خلال عدة قرون؟

ويختم قوله في هذه النقطة: "لكن هذا المقطع من كتاب التثنية يصبح مفهوماً جداً إذا ربطناه بقصة اللقية عند حلقيا. لقد استخدم مدبر الإصلاح عام 622 طريقة معروفة من قبل حيث تم نسب الكتاب الذي كتبوه إلى نبي قديم هو موسى الذي كان التقليد الشعبي يرى فيه ليس مجرد شخص خلّص الأجداد من نير الفراعنة المصريين بل ومؤسس ديانة يهوه"[1].

ويرى ريجكسي: أن عزرا كرر ما كان قد فعله قبل قرنين الملك يوشيا والكاهن حلقيا أي أن عزرا ونحميا حصلا على اعتراف رسمي بأن الكتاب الذي جلبه عزرا هو قانون أوصى يهوه ذاته لموسى.

❖ رأي الفيلسوف باروخ سبينوزا:

في كتابه المهم رسالة في اللاهوت والسياسة والتي ترجمها الدكتور حسن حنفي ونشرته الهيئة العامة للكتاب في مصر سنة 1972 يطرح سبينوزا الفيلسوف اليهودي عدة قضايا هامة يتفحص من خلالها التوراة وأسفار موسى الخمسة كما ينسبها اليهود.

ولا تقتصر دراسته النقدية على الأسفار الخمسة بل يتابع فحصه في بقية الأسفار التي ينسبها اليهود للأنبياء.

---

(1) المرجع السابق ص 146.

يرى سبينوزا أن سفر توراة الله الذي كتبه موسى كان صغيراً جداً لأن واضع التوراة الحالية ذكر أن موسى أعطاه الأحبار، ثم طلب قراءته أمام الشعب في أوقات معلومة وهذا يدل على أنه كان أقل حجماً بكثير من الأسفار الخمسة، إذ كان من الممكن قراءته كله في مجمع عام بحيث يفهمه الجميع، ومعنى ذلك أن التوراة الأصلية ليست هي هذه الأسفار الحالية.

ويقول: وأخيراً لما كانت توجد نصوص كثيرة في الأسفار الخمسة يفترض أن يكون موسى كاتبها فإن أحداً لا يستطيع أن يؤكد عن حق أن موسى هو مؤلف الأسفار الخمسة بل على العكس يكذب العقل هذه النسبة.

ويقدم سبينوزا أربع ملاحظات هامة:

1 ـ لا تتحدث الأسفار الخمسة عن موسى بضمير الغائب فحسب وإنما تُعطى عنه شهادات عديدة لا يصح البتة أن يكون هو الذي أعطاها عن نفسه ومن ثم لا يسوغ قطعاً أن يكون هو كاتبها. وهذه الشهادات مثل قوله:

(تحدث الله مع موسى. وكان الله مع موسى وجهاً لوجه. وكان موسى رجلاً حليماً جداً أكثر من جميع الناس).

2 ـ تمتد روايات التوراة في بعض الأحيان إلى ما بعد موسى. فيروي سفر الخروج: أن بني إسرائيل أكلوا المنّ أربعين سنة حتى وصلوا إلى أرض مسكونة على حدود بلاد كنعان أي حتى اللحظة التي يتحدث عنها سفر يشوع.

3 ـ يجب أن نذكر أيضاً أن رواية الأسفار الحالية لا تقص فقط قصة موت موسى ودفنه وحزن الأيام الثلاثين للعبرانيين عليه. بل تروي أيضاً أنه فاق جميع الأنبياء إذا ما قورن بالأنبياء الذين أتوا بعده. (ولم يقم من بعده نبي في إسرائيل كموسى الذي عرفه الرب وجهاً لوجه). وهذه شهادة لم يكن من الممكن أن يدلي بها موسى نفسه أو شخص آخر أتى بعده مباشرة، بل هذه شهادة شخص عاش بعده بقرون عديدة وقرأ عن أنبياء عديدين بعد موسى ولاسيما أن المؤرخ قد استعمل الصيغة المعبّرة (ولم يقم من بعده نبي في إسرائيل).

ويقول عن القبر: ولم يعرف أحد قبره إلى يومنا هذا.

4 ـ ويقول سبينوزا: يجب أن نذكر أيضاً أن بعض الأماكن لم تطلق عليها الأسماء التي

عرفت بها في زمن موسى بل أطلق عليها أسماء عرفت بها بعده بوقت طويل إذ يقال في التوراة: (إن إبراهيم تابع أعداءه حتى دان) تكوين. وهو اسم لم تأخذه المدينة التي تحمل اسمه إلا بعد موت يشوع بمدة طويلة. وقد قالت التوراة (سموا المدينة "دان" باسم أبيهم الذي ولد لإسرائيل وكان اسم المدينة قبل ذلك لايبش فكيف يذكر موسى وهو يقص قصة إبراهيم عليه السلام أنه جد في طلب أعدائه إلى مدينة دان وهي لم يُطلق عليها هذا الاسم إلا بعده بزمن طويل جداً.

ويتحدث سبينوزا عن بقية أسفار التوراة العبرانية كسفر يشوع والقضاة وصموئيل على ذلك أن سفر يشوع ليس من وضع يشوع إنما كتب بعد يشوع بقرون عديدة، ويدل على ذلك أسلوب الحديث، أي حديث من كتب التوراة عن يشوع.

وكذلك سفر القضاة فهو لم يكتب من قبل القضاة أنفسهم؛ لأن نهاية الرواية تكشف بوضوح أن مؤرخاً واحداً هو الذي كتبه كله إذ جاء فيه: (وفي تلك الأيام لم يكن لبني إسرائيل ملك وكان كل إنسان منهم يعمل ما حسن في عينيه). فلما كان مؤلفه يكرر دائماً أنه لم يكن هناك في عصره أي ملك لبني إسرائيل فلا شك أنه لم يكتب إلا بعد أن صار لبني إسرائيل ملوك. وأسفار صموئيل كذلك قد كتبت بعد صموئيل بعدة قرون لأن القصة تستمر بعد وفاته بوقت طويل.

وعليه، فإن سبينوزا يقرر أن القول بأن هذه الأسفار نزلت على موسى هو قول باطل وكذب، ويرى أن الذي كتبها مؤرخ واحد أراد أن يروي تاريخ إسرائيل القديم منذ نشأتهم الأولى حتى هدم مدينة القدس لأول مرة، والذي يدل على ذلك وحدة الغرض في جميع الأسفار، وطريقة التسلسل في هذه الأسفار، أو طريقة ربطها ببعضها وتخلص المؤلف من سفر إلى آخر والمحتوى[1].

(1) سبينوزا. رسالة في اللاهوت والسياسة. نقلاً عن كتاب مقارنة الأديان لـ محمد عبدالله الشرقاوي.